شهريات

بقلم رئيس التحرير

١ • عودة الفنان

حين تلقيت رسالته منذ أشهر قليلة وعليها طابع بريد طوكيو ، عاودتني ذكرى رسالة كان قد بعث بها اليّ منذ زهاء عشرين عاما ، اي قبيل اصدار مجلة « الآداب » ...

رسالتان يفصل بينهما عشرون عاما من الزمن ، ولكن بينهما في الحالة النفسية والفكرية عصرا بكامله لا يقدر بالاعوام ولا الاعمار .

كانت الرسالة الاولى ، التي نشرت في العدد الاول من « الآداب » بعنوان « أبعد من المجد » ، جوابا على رسالة بعثت بها اليه ، أذكره فيها بماضيه الادبي الذي تكرس فيه رائدا من رواد القصه والرواية اللبنانيتين بكتبه « الصبي الاعرج » و « قميص الصوف » و « الرغيف » ، وأغريته بالعودة الى الانتاج والابداع ، فكان ردّه على رسالتي يحمل الاسى والمرارة ، بل يحمل ادانة بخيانة النفس على ارتضائها تطليق الادب والفنّ ...

اما الرسالة الاخرى التي انت من طوكيو بعد عشرين عاما ، فقد جاءت على جناح الامل ، وخفقت بفرحة تكاد تكون طفوليه ، تحمل بشرى عودة القلم الاصيل الى ينبوع الابداع.

ولقيت توفيق يوسف عواد بعد ذلك وقد ازداد هزالا ورقة في البنية ، ولكن عينيه زادتا توهجا وتألقا فيما كان يدفع اليّ بمخطوطة حمراء الغلاف ويقول بلهجة تنبض بالثقة والكبرياء :

– خذ اقرأ ... هذا ما طالبتني به منذ عشرين عاما !

فتناولت منه المخطوطة وأنا اقلبها متهيبا ، مخفيا في نفسي شعوراً من الاشفاق ازاء هذا الصديق القديم الذي كنت أحسب ان المنصب الدبلوماسي قد قضى لديه على الخلق والانتاج . هذا الصديق الذي اخترعت له قصة في روايي « أصابعنا التي تحترق » صوّرت فيها مأساة الاديب تصرفه بهارج الحياة ومغريات العيش عن رسالته وتطفيء فيه جذوة الفنان .

وخلوت بمخطوطة رواية « ارواح للايجار » . وسرعان ما اجتذبني فيها ما كان قد اجتذبني منذ ربع قرن في رواية توفيق يوسف عواد الرائدة « الرغيف » من السرد المشوق والحس الرهيف والموضوع المثير واللغة النابضة بالحيوية والتصوير الخافق بالصدق : كل ما يجعل فن هذا الكاتب الروائي نسيج وحده في روايتنا العربية الحديثة .

ولكن أهمية هذه الرواية ان المؤلف الشيخ الذي كتبها. انما كتبها بروح الشباب ونبض العافية ، وطرح فيها من موضوعات الساعة اخطرها واعمقها واشدها الحاحا : مشكلات الجيل الجديد في لبنان والوطن العربي كله ، بين مطامحه وخيباته ، بين قيود التقاليد واشواق التحرر ، بين زيف الزعامات والنيابات ومثالية الشباب يفتالها الواقع الفاسد والهزائم المريرة . ان « ارواح للايجار » ادانة للمجتمع اللبناني الذي ينخر الفساد كثيرا من مرافقه ودعوة الى الثورة عليه. والشخصية الرئيسية في الرواية هي فتاة في السابعة عشرة تواجه الحياة بروح من التحدي والشجاعة هي وحدها القادرة على سلوك درب التغيير . وتعيش « تميمة » كثيرا من مشكلات الحياة الحادة في لبنان : مشكلة الطائفية ، ومشكلة الجنس ، ومشكلة التقاليد الزائفة ، ومشكلة الصراع السياسي الخ ... كل ذلك عبر حبكة روائية بارعة التكنيك، متينة النسيج ، غنية بالايحاء الرمزي ، ذات اسلوب متوتر نابض ترفده لغة ناصعة قلما نجد مثيلا لها في كتاب الرواية العربية المعاصرة .

وليس من غايتي هنا ان احلل هذه الرواية ، فلا ريب عندي في انها ستثير اهتمام النقاد العرب جميعا ، وستكون النماذج البشرية التي تتصارع فيها ، وهي بضعة عشر من مختلف الطبقات والنزعات ، موضوع دراسات اجتماعية ونفسية هامة .

وانما قصدت من هذه الكلمة الى ان احيّي عوده قلم مبدع من اقلامنا الاصيلة الى ميدان كان فيه مجليا يوم خاضه منذ اكثر من ثلاثين عاما ، وكنا نعتقد ان الانقطاع الطويل قد كسا هذا القلم بطبقة من الصدأ ليس من اليسير ازالتها .

لقد اثبت توفيق يوسف عواد حين كتب « ارواح للايجار » ان الفنان الحقيقي لا يموت ، مهما طال صمته . ان فنه جمرة كامنة تحت الرماد . وحسبها نفحة ريح حتى ينتثر الرماد وتلتهب الجذوة !

٢ . « الآداب » والبيروقراطية !

يتهم الاديب العراقي هاشم الطالقاني مجلة « الآداب » بالبيروقراطية الادبية « هذه البيروقراطية التي تقف حاجزا تلجيا شامخا بوجه كل الامكانات الشابة التي من شان رعايتها ان تخلق اجواء ادبية جديدة تكون بيئة مناسبة لخلق ادب جديد » (١) .

وما الذي يدفع الاخ الطالقاني الى هذه التهمة ؟

انه اقدام المجلة على نشر تجربة الناقد محمود امين العالم ، تلك التجربة الشعرية التي قرأها القراء في العدد السادس من « الآداب » والتي دعونا الى تقييمها .. وهو يتحدانا أن نجرؤ على « نشر مثل هذا النتاج لو لم يكن متوجا باسم الناقد محمود امين العالم صاحب الصرح الادبي الشامخ » ثم يضيف الكاتب متسائلا : « والا ما معنى الهامش الذي علقت به « الآداب » على هذا النتاج حيث قالت : « ننشر هذه (المادة الشعرية) على علاتها » ؟ لماذا تنشر هذه المادة على علاتها ولا تنشر غيرها لانها تحمل بعضا من هذه العلات ؟ ثم لماذا ننشر ادبا معلولا ونحن نعترف بعلته ؟ أليس في ذلك خضوع مطلق لمخدر الاسماء الكبيرة ؟ أليست هذه هي الطبقية المرعبة حد الموت في زمن الثورات الاشتراكية ؟ » .

ولا حاجة بالاخ الطالقاني الى تحدّينا ... فنحن نعترف باننا لم نكن لننشر هذه المادة لو لم يكتبها الاستاذ العالم . فمحمود امين العالم « اسم كبير » حقا . ولكن لماذا لم يتساءل المنتقد عن الاسباب التي جعلت من العالم « اسما كبيرا » ؟ هل احرز العالم هذه المكانة على غير استحقاق ؟ ألم يشارك بمقالاته ودراساته وكتبه في تطوير الحركة النقديه منذ ربع قرن مضى ؟ او ليس هو في طليعة الدارسين الذين حاولوا بالبحث والتقييم حركة الشعر العربي الحديث ، مهما اختلفت الاراء في دراساته ؟ فلماذا لا يحق له ان يصدر « تجربه » شعرية جديده ، وقد كانت له تجربة شعرية كان آخر اثارها ذلك الديوان الذي نشره منذ عامين ؟ ولماذا لا يحق للمجلة ، او لا يتوجب عليها ، ان تنشر هذه « التجربة » ، لا سيما وان صاحبها قد قدم لها بلهجة تحمل التواضع والرغبه في المناقشة ؟

لقد كان طبيعيا عندي ، حين تلقيت تلك المادة الشعرية ، ان أهتم بها من حيث ان صاحبها ناقد معروف وشاعر شارك في الحركه الشعرية الحديثة . ولكني كرئيس تحرير لم احمس لهذه التجربة ، ولم أقتنع بها . وقد كان امامي احد حلين : اما ان أردّ هذه المادة الى صاحبها مع كلمه اعتذار ، او ان انشرها مع كلمه تحفظ . اما الحل الاول ، فليس من حقي ان الجأ اليه مع أديب له وزن وقيمة كمحمود امين العالم ، ولو فعلت لكان من حق العالم والنقاد ان يتهموني بالدكتاتورية والتعسف ، وهذا ما احاول جهدي ، منذ عشرين عاما ، ان أتجنبه ... صحيح أنني لا أفسح المجال لكل مادة تصلني ، وهذا ما يقتضيه حرصي على المحافظة على مستوى المجلة ، ولكني لا أسمح لنفسي بحجب مادة يكتبها اديب اثبت جدارته وأهليته ، او مادة تحمل وعودا وتستحق الرعايه . وهكذا لجأت الى الحلّ الآخر ، وكان هذا واجبي . ولكن كان من حقي كذلك ، كرئيس تحرير ، ان أعلق على ما نشرت بكلمة تحفظ ، حتى لا أتهم بالمجاملة .. والحق ان بعض الاصدقاء قد اخذوا عليّ ذلك التعليق ، وقالوا ان العالم سيغضب منه ، فكان جوابي ان عددا من القراء سيغضبون مني انا ايضا من جراء نشر تلك المادة .. ومع ذلك . فانما ننشرها لنعطي الفرصة للنقاش والحوار تحريكا للنقد وللحياة الادبية التي نود ان نبعدها عن الجمود والتاسن ...

أما ان يكون ثمة كاتب كالاخ الطالقاني يجد في نشر تجربة العالم ، مع تحفظي على هذا النشر ، ذريعة لاتهام « الآداب » بالبيروقراطية ، فهذا مثار العجب كله !

---

(١) راجع باب « مناقشات » في هذا العدد من « الآداب » .

أنه ينسى ، أو يتناسى ، ان « الآداب » التي تنشر لكبار الكتاب والشعراء والقصاصين ، هي التي أفسحت اوسع المجال في صفحاتها لنتاج الادباء الشباب في الوطن العربي كله ، بل ان كثيرين من ذوي المواهب الحقيقية قد رأوا النور بين صفحات هذه المجلة .. ولست اذكر اني تعرّفت الى اديب شاب تعرفا شخصيا الا بعد ان يكون قراء « الآداب » قد تعرّفوا اليه ... وحتى هذه اللحظة ، يشهد القراء في كل عدد من اعداد المجلة ميلاد كاتب جديد او شاعر جديد او قصاص جديد .. اليس في هذا دليل كاف على اننا نضع « العصابة السوداء على عيوننا عند قراءة الاسماء ونرفعها عند قراءة النصوص ؟ » اكان هذا يحدث لو كان في هذه المجلة ذرة واحدة من البيروقراطية ؟

٣ . خدمة للادب ..

تلقيت من باحث صديق بيانا يطلب مني ان انشره في المجلة « خدمة للادب ومساعدة للثقافة » ، وهو يعلن في هذا البيان أنه سيقوم بكتابة بحث عن الرواية العربية في أحد البلدان العربية ويطلب من الروائيين ان يجيبوا على الاسئلة التالية :

١ ــ الاسم الكامل وتاريخ الميلاد ومحله

٢ ــ الدراسة وانواعها

٣ ــ اسماء الروايات التي كتبتموها ومحل طبعها وسنتها .

٤ ــ ما الهدف من كتابتها وابعاد هذه الروايات ومصادرها التي اوحت لكم بها . وهل حققتم هذا الهدف؟

٥ ــ هل نقد انتاجك ومحل النقد وتاريخه

٦ ــ بمن تأثرتم من الكتاب وما مقدار الأثر ؟

٧ ــ من هم في رأيك أشهر كتاب الرواية في البلد؟

٨ ــ هل لكم معلومات اخرى تضاف الى ما تقدم ؟

٩ ــ يرجى ارسال الاجوبة الى ...

هذه هي الاسئلة التي يطرحها الباحث الصديق على الروائيين في بلده .

وأنا ارى ان الباحث الصديق قد نسي بندا مهما لم يطرحه على الروائيين ، فليسمح لي ان أضيفه فيما يلي :

١٠ ــ هل تعتقدون انني بحاجة الى اكثر من أجوبتكم المنتظرة للمبادرة الى نشر بحثي ؟

سهيل ادريس

الموت على حافة الموت

الى غسان كنفاني .. الشاهد

انها الآن تتبعه .. وهو يتبعها
الجنود يحيطون بالساحة .. تنتفض الفجرى
وظلت تراقبه
ربما يقطعون عليه الطريق ..
عاودته سجاياه .. صار يمارس أحلامه
فاحس به الحرس المغربي ..
فضاع وضيّعها

* * *

تخلع القدس قمصانها في شوارع مدريد ..
تعرى
تجوع
تدق النوافذ
مدريد تغلق ابوابها في العشيات
فالخوف يشرب كاس النبيذ المحلى
وتشرب مدريد من دم اطفالها
منذ ان ضيعته ..
تخاف العصافير منها .. وتلعن اعشاشها

* * *

انها الآن تتبعه ..
سألت عنه ..
أوصافه ؟
عبر البحر دون سفين فاحرق اوراقه
مات .. لم يبكه احد في السمينة ..
ما حفروا قبره بالاسنّة ..
ان الاسنّة في واجهات المتاحف واجمة
وهو يغرس عينيه فيها ..
تصير كتابا
الا أيها الوطن العربي المقيد بالرمل
خذ صفحة من كتاب الاسنّة
وادرأ بها صافنات المغول
الم حروفك .. ثم ابعثرها
واراك المؤجل وعدك ..
فلتتقدم اليّ
أريك تخوم يديك .. قيودك
تلك التي تستفيق معي
وتدور معي في المقاهي ..
وفي الليل تمسح وجهي .. تعطرني .. وتنام معي

مدريد — حميد سعيد